

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعَةِ زَهْرَائِيَّةِ أَصِيلَةٍ      مِنْ أَجْلِ نَهْضَةِ ثَقَافَةِ حُسَيْنِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ مُتَحَضِّرَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهْرَائِيٍّ رَاقٍ

بِرَنَامَجِ

قُرْآنِهِمُ

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّيِّ

منشورات موقع القمر

# بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرْنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتْهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشَرِ

الْحَلَقَةُ (8)

يَوْمَ السَّبْتِ

بِتَارِيخٍ: 14 شَهْرَ رَمَضَانَ 1438 هـ

الْمُوَافَقُ: 2017/6/10 م

يا زقراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# برنامج قُرْآنُهُم

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الجزء الخامس)

"قصة آدم عليه السلام في الروايات" الجزء الأول

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِم"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُورًا عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلَامٌ عَلَى وَلَيْنَا الْمُرتَجَى ثَمَرَةَ مُهَجَةِ الْمُصْطَفَى وَفَلْدَةَ كَيْدِ الْمُرتَضَى.. سَلَامٌ عَلَى إِمَامِنَا وَسَيِّدِنَا أَبِي مُحَمَّدٍ  
الْحَسَنِ الزَّكِيِّ الْمُجْتَبَى وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ..

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطْ وَفَقَطْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ..

وصلنا في الحلقات المتقدمة إلى الآية الرابعة والعشرين من سورة الأعراف، وسنستمر إن شاء الله تعالى في تناول آيات سورة الأعراف فيما يأتي من حلقات هذا البرنامج.

الآيات التي مر ذكرها كانت في أجواء قُصَّةِ أبينا آدم سلام الله عليه، استعرضت جانباً مما جاء في الكتاب الكريم في عدة سورٍ منه حيثُ تحدّث القرآن عن أبينا آدم وأمنا حواء، كان الحديث استعراضاً عاماً لما جاء من تفاصيل في تلكم الآيات.

في هذه الحلقة سأسلط الضوء على مجموعة من اللقطات المهمة وعلى مجموعة من زوايا الحديث التي ما تناولتها آيات الكتاب الكريم وإمّا جاءت في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قطعاً لا أستطيع أن أتناول كلّ ما ورد عنهم فذلك يحتاج إلى وقت طويل، لكنني سأختار لكم لقطات مهمة ومهمّة جداً، إذا ما نظرتم إليها وتدبرتم فيها فإن الصورة ستتكمّل ما بين آيات الكتاب الكريم وبين كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الكتاب الأول الذي سأتناول منه صوراً مما جاء في حديثهم الشريف هو تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه.

هذه الطبعة التي بين يدي هي الطبعة الأولى/ الناشر ذوي القربى/ مركز التوزيع قم/ پاساج قدس/ الصفحة (193) من هذه الطبعة/ إمامنا العسكري يحدّثنا عن إمامنا زين العباد، عن إمامنا السجّاد صلوات الله وسلامه عليهما، إمامنا السجّاد يحدّث عن آبائه عن رسول الله، ماذا قال رسول الله؟ قال: يَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ آدَمَ لَمَّا رَأَى النُّورَ سَاطِعاً مِنْ صَلْبِهِ إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحَنَا مِنْ ذُرْوَةِ الْعَرْشِ إِلَى ظَهْرِهِ، إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحَنَا مِنْ ذُرْوَةِ الْعَرْشِ إِلَى ظَهْرِهِ، هو لم ينقلهم وإمّا نقل أشباحاً لهم، نقل نحواً من أنحاء تجلياتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذ هم أين؟ هم في ذروة العرش، وهذا مقام من مقاماتهم.

مقامهم الأتم والأكمل، المقام الذي استقروا فيه عند الله سبحانه وتعالى وما خرجوا من ذلك المقام، (الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي خلقه فاستقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره) ذلك هو المقام الأعظم الأعظم، لا نملك إلا أننا نعرف أن لهم مقاماً هذا عنوانه ووصفه الإجمالي، لا نعرف شيئاً عن حقيقته، لا نعرف شيئاً عن حقيقته لا لأن معلومات لم ترد، أساساً لا اللغة قادرة على أن تستوعب هذه المعلومات، ولا هذه العقول متمكنة من أن تتصور تلك الحقائق.

ومن ظهوراتهم هو الظهور المحيط، كما في الزيارة الجامعة الكبيرة: (وجعلكم بعرشه محدين) الإحداق هنا هو الإحاطة، وهذا ظهور من ظهوراتهم إحاطتهم بعالم العرش، وفي عالم العرش مراتب الموجودات طراً. ولهم ظهور أنهم في ذروة العرش وإلى هذا يشير سيد الأنبياء، هذا ظهور من ظهوراتهم، وظهوراتهم لا حصر لها.

أعود إلى كلام رسول الله: يَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ آدَمَ لَمَّا رَأَى النُّورَ سَاطِعاً مِنْ صُلْبِهِ إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحاً - هذه الأشباح نحو تجل من تجلياتهم- إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحاً مِنْ ذُرْوَةِ الْعَرْشِ - هذه صورة أخذت لمقام من مقاماتهم في ذروة العرش- إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحاً مِنْ ذُرْوَةِ الْعَرْشِ إِلَى ظَهْرِهِ رَأَى النُّورَ وَلَمْ يَتَبَيَّنِ الْأَشْبَاحُ، فَقَالَ: يَا رَبِّي مَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْوَارُ أَشْبَاحِ نَقْلَتُهُمْ مِنْ أَشْرَفِ بَقَاعِ عَرْشِي، وَهُوَ الذَّرْوَةُ إِلَى ظَهْرِكَ، وَلِذَلِكَ أَمَرْتُ الْمَلَائِكَةَ بِالسَّجُودِ لَكَ إِذْ كُنْتَ وَعَاءَ لَتِلْكَ الْأَشْبَاحِ، السجود في الحقيقة ما كَانَ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، السجود كان لأشباح هي صورة لمقام من مقاماتهم التي ليست هي أعلى المقامات. هذا هو تفسير إمامنا العسكري الذي يكذبه مراجعنا الكرام ويرفضه فقهاؤنا الأعلام، الكثير منهم، الكثرة المتكاثرة، خصوصاً المراجع الآن الأحياء، المراجع المعاصرون الأجلاء يرفضون هذا التفسير ويكذبونه ويضربون به عرض الجدار، وهذا التفسير من أهم ما جاء عن آل محمد في تفسير القرآن، إذا أردنا أن نعرف منهج أهل البيت في تفسير القرآن أول خطوة يجب علينا أن نتبعها: أن ندرس تفسير الإمام العسكري وأن نستخلص الحقائق التي نستعين بها على تلمس منهج آل محمد في تفسير القرآن، ولذلك من يتابعني دائماً حين أتحدث عن القرآن دائماً أعود إلى تفسير إمامنا العسكري، مع أنه ما وصل إلينا كاملاً، وصل إلينا منه جزء يسير يسير جداً، لا ندري من الذي قد أتلّفه، وهذا الجزء اليسير أجهز عليه مراجعنا الكرام وأعدموه بفتاواهم وبآرائهم التي بنوها على أسس وقواعد جاءوا بها من الفكر الناصبي الصافي الخالص المخلص، جاءوا بقواعد من الفكر الناصبي فذبوا هذا التفسير، على أي حال.

فَقَالَ: يَا رَبِّي مَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْوَارُ أَشْبَاحِ نَقْلَتُهُمْ مِنْ أَشْرَفِ بَقَاعِ عَرْشِي إِلَى ظَهْرِكَ، وَلِذَلِكَ أَمَرْتُ الْمَلَائِكَةَ بِالسَّجُودِ لَكَ، لماذا؟ إِذْ كُنْتَ وَعَاءَ لَتِلْكَ الْأَشْبَاحِ - فأبونا آدم كان وعاء لأشباح هي صورة لمقام من مقاماتهم صلوات الله عليهم، ومع ذلك فأبونا آدم ما رأى الأشباح وإنما رأى آثارها، رأى النور ولم يتبين الأشباح، هذا النور هو أثر من آثار تلك الأشباح- فَقَالَ آدَمُ: يَا رَبِّي لَوْ بَيَّنْتَهَا لِي، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ- لَوْ بَيَّنْتَهَا لِي؛ أَرَادَ أَنْ يَنْكَشِفَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ أَكْثَرَ- فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْظِرْ يَا آدَمُ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَرْشِ، فَنَظَرَ آدَمُ وَوَقَعَ نُورُ أَشْبَاحِنَا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَى ذُرْوَةِ الْعَرْشِ فَانْطَبَعَ فِيهِ صُورُ أَنْوَارِ أَشْبَاحِنَا الَّتِي فِي ظَهْرِهِ كَمَا يَنْطَبِعُ وَجْهُ

الإنسان في المرأة الصافية فرأى أشباحنا - هو ما رأى الملقم على العرش، ولكنه نظر إلى الجهة التي تظهر في العرش فيها كل الصور - فنظر آدم ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرأة الصافية فرأى أشباحنا، فقال: يا ربّي ما هذه الأشباح؟ قال الله تعالى: يا آدم هذه أشباح أفضل خلّقي وبرّياتي، هذا محمدٌ وأنا المحمود الحميد في أفعالي شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليٌ وأنا العلي العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطمٌ أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي وفاطمٌ أوليائي عما يعرهم ويسيتهم فشقت لها اسماً من اسمي، وهذان الحسن والحسين وأنا المحسن والمجمل شققت اسميهما من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي، وكرام برّيتي، بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب فتوسّل إليّ بهم من يحفظ حديث العقل، حديث المخلوق الأول: (أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، أدبر فأدبر، قال: أما أنّي بك أثيب وبك أعاقب) هذه تجلياتهم كما قلت قبل قليل: تجلياتهم لا عد لها ولا حصر - بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب فتوسّل إليّ بهم.

يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، اكفينا فإنكم كافيان، وأنصرانا فإنكم ناصران، يا مولانا يا صاحب الزمان الأمان الأمان الأمان، أسألك أمان الدين وأمان الدنيا وأمان الموت وأمان القبر وأمان الحشر وأمان القيامة ومواقفها، الأمان الأمان الأمان يا صاحب الزمان..

يا آدم - هذا الخطاب لأبينا، والخطاب لأبينا هو لنا - يا آدم - وأنا أقول لنفسي يابن آدم وأقول لكم يا أبناء آدم - يا آدم وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك فإنّي آليت على نفسي - آليت يعني أقسمت - فإنّي آليت على نفسي قسماً حقاً أن لا أخيب بهم أملاً ولا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلت منه الخطيئة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فلذلك حين زلت منه الخطيئة، دعا الله عز وجلّ بهم فتأب عليه وعفّر له، وآدم حين كان يتوسّل بهذه الكلمات - (يا محمود بحق محمد، ويا علي بحق علي، ويا فاطر بحق فاطمة، ويا محسن بحق الحسن، ويا قديم الإحسان بحق الحسين) لما ذكر هذا الاسم انكسر قلبه وانماث ودمعت عيونه، ولذلك سأل جبرئيل قال: أخي جبرئيل ما الذي دهاني حين ذكرت هذا الاسم الخامس؟ فحدثه جبرئيل بحديث كربلاء، وكربلاء حاضرة على طول الخط.

لا زلت أقتطف لكم ثماراً صافية نقيّة من هذا التفسير الشريف تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ماذا يقول إمامنا العسكري؟ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ إمامنا العسكري يقول: شجرة العلم - هذه الشجرة شجرة العلم - شجرة علم محمد وآل محمد الذين آثرهم الله عز وجلّ بها دون سائر خلقه، آثرهم بها؛ آثرهم بكل شيء دون سائر خلقه، فتجلياتهم هي مراتب ظهور الأسماء الحسنی التي تجلّت وظهرت من الاسم الأعظم الذي خلقه فاستقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ - يقول إمامنا العسكري - شجرة العلم، شجرة علم محمد وآل محمد الذين آثرهم الله عز وجلّ بها دون سائر خلقه، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ شجرة العلم، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم.

قصة أبينا آدم قصة لها وجهان:

- وجه في عالم التكوين، فآدم كونه الله وخلقه.
- ووجه لقصة أبينا آدم هو الوجه الرمزي الفلسفي العميق.

ومن رموز قصة أبينا آدم: (الشجرة) إنها شجرة العلم، ستأتينا رواية عن إمامنا الرضا أقرأها عليكم وستتأمل الصورة مع ما جاء مذكوراً هنا، لكنني وقفت وقفة وجيزة كي ألفت نظرکم إلى هذا المضمون ليبقى شاخصاً في أذهانكم إلى أن نصل إلى ما قاله إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه وحينئذ تتمازج المعاني وتتجلى الصورة بنحو أوضح، فالشجرة هي شجرة العلم، وكما بينت قبل قليل: أن قصة أبينا آدم لها وجه تكويني، ولها وجه رمزي فلسفي عميق.

مما جاء أيضاً في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه وإمامنا يحدّثنا عن سيد الأنبياء: **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَا أَقْرَأُ مِنَ الصَّفْحَةِ (354) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عَصَا اللَّهِ إِبْلِيسُ فَهَلْكَ، كَيْفَ هَلْكَ إِبْلِيسُ؟** إِبْلِيسُ كَانَ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي جِيلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الْأَرْضِ وَلَخَيْرِيَّتُهُ رَفَعَهُ اللَّهُ فَجَعَلَهُ فِي عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِبْلِيسُ كَانَ عَابِداً مِنْ عِبَادِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، رُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ آلَافٌ مِنَ السَّنَاتِ، كَانَ رُكُوعُهُ وَسُجُودُهُ يَمْتَدُّ إِلَى آلَافٍ مِنَ السَّنَاتِ، فِي بَعْضِ أَحَادِيثِنَا: (رَكَعَتَانِ مِنْ عِبَادَتِهِ قُضِيَ فِيهِمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ سَنَةٍ) ماذا يقول رسول الله؟ **عَصَا اللَّهِ إِبْلِيسُ فَهَلْكَ، لِمَاذَا هَلْكَ إِبْلِيسُ؟ فَهَلْكَ لِمَا كَانَ مَعْصِيَتُهُ بِالْكَبْرِ عَلَى آدَمَ -** وفي الحقيقة هو ما تكبر على آدم، إذا أردنا أن نبحت في عمق الموضوع كما بينت رواياتهم وأحاديثهم، كان تكبراً على مضمون آدم، ولذلك قارن بين منزلته ومنزلة آدم فقال: **(أنا خير منه)** الخيرية هذه تتناول المضمون، ومضمون آدم كان في الأشباح تلك التي تجلّت فيه - **عَصَا اللَّهِ إِبْلِيسُ فَهَلْكَ لِمَا كَانَ مَعْصِيَتُهُ بِالْكَبْرِ عَلَى آدَمَ وَعَصَا اللَّهِ آدَمَ بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ فَسَلِمَ وَلَمْ يَهْلِكْ** - حديث النبي ناظر إلى العاقبة، فعاقبه أبينا آدم إلى خير، وعاقبه إبليس إلى شر - **وَعَصَا اللَّهُ آدَمَ بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ فَسَلِمَ وَلَمْ يَهْلِكْ لِمَا لَمْ يُقَارَنْ بِمَعْصِيَتِهِ التَّكَبُّرَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ -** فإبليس تكبره كان على محمد وآله - **وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ عَصَانِي فِيكَ إِبْلِيسُ وَتَكَبَّرَ عَلَيْكَ فَهَلْكَ وَلَوْ تَوَاضَعَ لَكَ بِأَمْرِي وَعَظَّم عَزَّ جَلَالِي لَأَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ كَمَا أَفْلَحْتَ** - يعني كما أفلحت أنت يا آدم في العاقبة - **وَأَنْتَ عَصَيْتَنِي بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ وَبِالتَّوَاضُعِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ تَفْلَحُ كُلُّ الْفَلَاحِ وَتَزُولُ عَنْكَ وَصْمُهُ الذَّلَّةُ فَادْعُنِي مُحَمَّدٌ وَآلَهُ الطَّيِّبِينَ لَذَلِكَ، فَدَعَا بِهِمْ فَافْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ -** أبونا آدم - **فَأَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ،** هكذا يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **فَأَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ لِمَا تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.**

فهذه المضامين في الأذان والإقامة عن الفلاح، عن خير العمل، وعن سائر المضامين الأخرى هي رموز وإشارات إلى عروّتهم الوثقى، أتعرفون أن هذا المصطلح: (العروة الوثقى) في الكتاب الكريم وفي أدعيتهم وفي زياراتهم إلى من يشير؟

(العروة الوثقى) في ثقافة آل محمد اسم من أسماء عليّ، العروة الوثقى عليّ، مثلما (الصراط المستقيم) عليّ، مثلما (الكتاب) عليّ، هذه أسماء حقيقية لسيد الأوصياء، **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ)** أحاديث أهل بيت العصمة تقول: (علي) ذلك علي لا ريب فيه هدى للمتقين.

الكتاب اسمٍ لعلِّي،

والصراطُ المستقيمُ اسمٌ لعلِّي،

والعروة الوثقى اسمٌ لعلِّي.

فمن أراد أن يتمسك بهم كما تمسك أبونا آدم بالعروة الوثقى وأفلح كلُّ الفلاح ونجا، عليه أن يتمسك بعلِّي.

العروة الوثقى في أدب آلِ مُحَمَّدٍ، في ثقافة آلِ عليّ، العروة الوثقى لها دلالتان:

- الدلالة الأولى: عليّ.

- والدلالة الثانية: ولاية عليّ.

صعدنا، نزلنا، المدارَّ عليّ، هذه هي الحقيقة، وهذا التفسيرُ تفسيرُ إمامنا العسكري يجعلُ الأساس في فهم القرآنِ عليّاً، الأساس في فهم القرآن هو عليّ، وحجرَ الزاوية في بناء حقيقة الدين ولاية عليّ، وولايته عليّ هي من شؤونات عليّ، فالبداية من عليّ والنهاية إلى عليّ، (وَرَحِمَ اللهُ أَمْرًا عَرَفَ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ) معنى الحديث هو هذا، (رَحِمَ اللهُ أَمْرًا عَرَفَ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ) من أين؟ من عليّ، إلى أين؟ إلى عليّ، هذه الحقيقة هي التي يصدعُ بها ويسطعُ بها التفسيرُ العسكري الشريف، من هنا هذا التفسيرُ ألغِيَ من ساحة الثقافة الشيعية، ومن هنا صارت تفاسيرنا عوراء بل عمياء، ومن هنا صارت ثقافتنا القرآنية في المؤسسة الدينية ثقافةً مُستدبرة، لأنها لم تبني مفاهيمها على ما جاء في تفسير إمامنا العسكري صلواتُ الله وسلامه عليه.

أخذكم إلى كتابٍ آخر:

الكتاب الآخر الذي هو بين يدي، هذا هو الجزء الأول من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رحمه الله عليه، وهو جامعٌ حديثي، حين أقول: لسيدنا هاشم البحراني، ما هي آراؤه رضوان الله تعالى عليه، إنه جمع حديث أهل البيت ما استطاع أن يجمع من حديث أهل البيت في هذا الكتاب الذي سماه: (البرهان في تفسير القرآن) هذا هو الجزء الأول / منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / الطبعة الأولى / 1999 ميلادي.

سألتقطُ صوراً من حديث آلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين.

الصفحة (165) الرواية الثالثة وهو ينقلها عن تفسير شيخنا العياشي رحمه الله عليه: عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ -إِمَامُنَا الصَّادِق- مَا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ بِقَوْلِهِمْ: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، حِينَ قَالَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) مَا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ -أَوْ (مَا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ) - بِقَوْلِهِمْ: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، لَوْلَا أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا رَأَوْا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، إِذَا نَحْنُ لَسْنَا أَمَامَ قِصَّةِ أَرْضِيَّةٍ، نَحْنُ أَمَامَ قِصَّةِ التَّكْوِينِ، نَحْنُ أَمَامَ تَكْوِينِ بَرْنَامِجِ الْخَلَافَةِ، نَحْنُ أَمَامَ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِزِ تَكَامُلِ الْخَلْقَةِ كِي تَسْتَعِدَّ الْأَرْضَ لِتَطْبِيقِ الْبَرْنَامِجِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي يَتَجَلَّى فِي الْعَصْرِ الْمُهْدَوِيِّ، الْخَلَافَةُ عَلَى

الأرض لله سبحانه وتعالى ما تجلّت بنحوها الكامل إلى هذه اللحظة، ولن تتجلّى إلّا في العصر المهدوي وما بعد العصر المهدوي من عصر الرجعة والكرّة والأوبة.

هذه الرواية تنقل لنا صورةً دقيقةً جدّاً: مَا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ -أو (مَا عَلِمَ الْمَلَائِكَةُ)- بِقَوْلِهِمْ: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، لَوْلَا أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا رَأَوْا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، ومرة الإشارة من أَنَّهُمْ يتحدثون عن أقدس الدماء التي تُسْفِكُ على الأرض، وهذا هو الشيء المنطقي، قطعاً لا يتحدثون عن أي دم مع وجود الدم الأقدس، وهنا يمر ذكر أبي السجّاد، من هنا نشمّ عطر حسين صلوات الله وسلامه عليه.

أنتقل بكم إلى لقطة أخرى:

والرواية هنا ينقلها السيد هاشم البحراني عن (عيون أخبار الرضا) عن إمامنا الرضا، و(عيون أخبار الرضا) كتاب لشيخنا الصدوق، كتاب معروف: عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِلرَّضَا: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا آدَمُ وَحَوَاءُ مَا كَانَتْ؟ -أي شجرة؟- أَخْبِرْنِي عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا آدَمُ وَحَوَاءُ مَا كَانَتْ؟ فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا الْحَنْظَلَةُ -وقطعاً شجرة الحنطة هناك، ليست كسنايل الحنطة هنا على الأرض- فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا الْحَنْظَلَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا الْعَنْبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِي أَنَّهَا شَجَرَةُ الْحَسَدِ -الحنطة شيء، العنب شيء آخر، الحسد شيء آخر- فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا قَالَ إِمَامُنَا الرُّضَا؟ وَقَبْلَ قَلِيلٍ مَرَّ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِ إِمَامُنَا الْعَسْكَرِيِّ: (إِنَّهَا شَجَرَةُ الْعِلْمِ) وهذه العناوين جاءت في الرواية لا على سبيل الحصر، فهناك أقوال أخرى أيضاً: (الحنطة، العنب، الحسد) ومرّ علينا (العلم) ماذا قال إمامنا الرضا؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كُلُّ ذَلِكَ حَقٌّ، نحن لسنا أمام شجرة كأشجار الدنيا، نحن نتحدث عن مرحلة من مراحل التكوين، عن مرحلة جامعة لبرنامج تكويني واسع، وعن خلاصة تكوينية ظهرت في خلقة أبينا آدم وأمنا حواء، برنامج كبير، من هنا قلت قبل قليل من أن قصة أبينا آدم لها وجهان:

- وجه تكويني،

- ووجه رمزي فلسفي عميق.

وهذه الكلمات الشريفة تُشير إلى هذه الحقيقة التي ذكرتها، فَقَالَ: كُلُّ ذَلِكَ حَقٌّ، قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى هَذِهِ الْوُجُوهُ عَلَى اخْتِلَافِهَا؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّلْتِ، إِنَّ شَجَرَةَ الْجَنَّةِ تَحْمِلُ أَنْوَاعاً -كما بينت قبل قليل من أن شجرة الحنطة هذه ما هي بسنايل الحنطة في الأرض- فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّلْتِ، إِنَّ شَجَرَةَ الْجَنَّةِ تَحْمِلُ أَنْوَاعاً، وَكَانَتْ شَجَرَةُ الْحَنْظَلَةِ -كانت هي الشجرة شجرة الحنطة- وَكَانَتْ شَجَرَةُ الْحَنْظَلَةِ وَفِيهَا عَنْبٌ وَلَيْسَتْ كَشَجَرِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ آدَمَ لَمَّا أُكْرِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِإِسْجَادِ مَلَائِكَتِهِ لَهُ وَبِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةِ قَالَ فِي نَفْسِهِ: هَلْ خَلَقَ اللَّهُ بَشَرًا أَفْضَلَ مِنِّي؟ فَعَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِهِ، فَنَادَاهُ أَرْفَعْ رَأْسَكَ يَا آدَمُ فَانْظُرْ إِلَى سَاقِ عَرْشِي، فَرَفَعَ آدَمُ رَأْسَهُ فَانْظَرَ إِلَى سَاقِ الْعَرْشِ فَوَجَدَ عَلَيْهِ مَكْتُوباً -ماذا وجد مكتوباً على ساق العرش؟- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ -قطعاً المقصود هنا بعنوان عدم الجزئية!!! يعني الله سبحانه كتب على ساق عرشه ويبدو أنه نسي أن يكتب: (بعنوان عدم الجزئية)!!! مثلما يقول علماؤنا ومراجعنا

حينما يذكرون الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة، هي أساساً ما قيمة صلاتكم أنتم؟! الله يكتب على عرشه هكذا، على أي حال- فَوَجَدَ عَلَيْهِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَزَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: يَا رَبِّي، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ، هَؤُلَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَهُمْ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِي، وَلَوْ لَاهُمْ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ، قد يأتي هنا سؤال من أن الرواية تتحدث في مرحلة ما بعد السجود، فهل أن آدم أبانا ما كان على علم لماذا سجدت الملائكة له؟

كما بينت: الروايات هذه تتحدث ليس عن قصة تاريخية، فآدم قبل سجود الملائكة له، تجلّت له هذه الحقيقة، ولكن في طبقة من الطبقات، في مستوى من المستويات، وحين سجدت الملائكة لآدم، تجلّت هذه الحقائق لأبينا آدم حين عرضهم على الملائكة، حين أمره الله أن يبنّهم بأسمائهم، أن يبنّي الملائكة، وبقيت مراتب العرض والتجلي تترى على أبينا آدم، وما جاء مذكوراً في الرواية هذه هو حديث عن مرحلة أخرى وعن طبقة أخرى من طبقات ما تجلّى لأبينا آدم، نحن لا نتحدث عن واقعة تاريخية جرت على الأرض، فنزول آدم أبينا إلى الأرض سيكون بعد كلّ هذه التفاصيل، هذه المعاني هي جزء من برنامج خلقه أبينا آدم، وتكوين العقل الآدمي، وتكوين الفطرة الآدمية، وتكوين الإدراك الإنساني، لكنها تُروى لنا بهذه الطريقة وبهذه الرمزية لتقريب المعاني.

يمكنني أن أقرب الفكرة بمثال، والأمثلة كما تعلمون تُقرب من وجه وتُبعد من وجه، سأضرب مثالين:

المثال الأول قد يكون أوضح من المثال الثاني، كيف يأكل الإنسان طعامه؟ يدخل الطعام في فمه وتبدأ عملية الهضم في جوف الفم حين تبدأ الغدد اللعابية بإفرازاتها وحين تبدأ عملية تقطيع الطعام ومضغه إلى سائر التفاصيل الأخرى، ويمر الطعام بعد ذلك عبر المريء إلى المعدة إلى سائر التفاصيل التي تعرفونها، هكذا تجري عملية هضم الطعام.

ولكن يمكن أن نُقربها مثلاً برسم كارتوني لأجل تقريب الفكرة لأذهان الأطفال، لأذهان المتعلّمين، فبدل الأسنان مثلاً إما أن نرسم مجموعة من المكائن والآلات أو أن نرسم مصنعاً وفيه عدد من العمال بعدد الأسنان تختلف أطوالهم وحجومهم واختصاصاتهم، وبدل الغدد اللعابية فإننا نصنع أنابيب أو وسائل أخرى تقوم بعملية إفراز هذه السوائل، ثم تقوم وسائط نقلية بنقل الناتج الذي ينتجه هذا المصنع إلى مكان آخر، وذلك المكان الآخر هو المعدة، وأيضاً نرسم بناية مفصلة وفيها الكثير من العاملين، لأجل تقريب الفكرة، الذي جرى على أرض الواقع: طعام أخذه الإنسان من طريق فمه وبدأت عمليات الهضم هنا في جوف الفم وهكذا إلى أن يصل إلى المعدة وهكذا يتحوّل إلى مادة الكيموس وبعد ذلك ينقل عبر حركة الدم في جسم الإنسان ما بين الأنسجة والخلايا إلى بقية ما يقوم به الجسم في تمثيله الغذائي.

لكن يمكننا أن نحول هذه القضية إلى فلم كارتوني أو إلى قضية مجسّمة وكأننا أمام مجموعة من المكائن والآلات أمام مصنع كبير وهذا المصنع فيه عدّة اختصاصات وتتم عملية الهضم بهذه الطريقة كي نُقرب الفكرة

لمن يريد أن يأخذ صورةً عن عملية الهضم، وأعتقد أن مثل هذا موجود، موجود على شكل كُتب، موجود على شكل لوحات مرسومة، موجود على شكل أفلام وفيديو.

وعلى مستوى آخر في عالم الفلسفة، هناك قصص فلسفي، حكايات فلسفية، ليس المقصود منها التفاصيل التي تُذكر في هذه الحكايات، وإنما هناك وراء هذه القصة ووراء هذه الشخصيات ما وراءها، كما في قصة: (حي بن يقضان) قصة فلسفية معروفة، كُتب عنها الكثير من الفلاسفة، ربما البعض من المشاهدين لا اطلاع لهم على هذه الكتب التي كُتبت في هذا الموضوع، ولذلك أنا جئت بمثال أول، وجئت بمثال ثانٍ لمن كان قد اطلع على هذا القصص الفلسفي، كما في قصة (زارا أو زرادشت) فيما كُتبهُ فريديك نيتشه في (هكذا تكلم زرادشت) مثلاً، أو في كتب فلسفية كثيرة أخرى، الكتابات التي كُتبت في اليوتوبيا أو حين عُرِبت الكلمة في الثقافة العربية: الفلسفة الطوباوية أو الطوبائية، اليوتوبيا، ما كُتب في أدب اليوتوبيا هو عبارة عن حكايات، عبارة عن قصص، ولكن دلالة تلك الحكايات أو تلك الرموز دلالات فلسفية عميقة.

المراد من اليوتوبيا ما عرّبه الفارابي الفيلسوف المعروف بـ (المدينة الفاضلة) ما كُتب عن المدينة الفاضلة إنها رموزٌ تتحدث عن فلسفة عميقة في حياة هذا الكائن البشري أو في عالمنا هذا الذي نعيش فيه.

وهذه القضية موجودة على طول الخط، الأمثال في القرآن الكريم والقصص القرآني وحتى في الديانات السابقة إذا أردنا أن نبحث حتى في الأساطير حتى في الميثولوجيا فإن الميثولوجيا في العديد من جهاتها لا تبتعد عن الأثولوجيا عن الفكر الديني كثيراً.

أنا هنا لا أريد الخوض في كل هذه الجزئيات، إنما أردت أن أقول كما قُلت قبل قليل: قصة أبينا آدم فيها وجهٌ تكويني عميق، قصة أبينا آدم عبارة عن رسم تكويني لخارطة برنامج الخلافة، هناك خارطة، ولذلك مر علينا كلام إمامنا الصادق في أن الملائكة رأوا من يفسد في الأرض ورأوا من يسفك الدماء، هناك خارطة تكوينية، فهناك خارطة رسمت تكويناً، ثم تُرجمت في هذا المثل البشري.

- هناك تكوين لخارطة.

- وهناك تكوين لمخلوق سوف ينزل إلى الأرض.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ عملية الجعل هذه تستبطن برنامجاً ومن سيقوم بهذا البرنامج، هذا المراد من: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ خليفة على أي شيء؟ ماذا يفعل هذا الخليفة؟ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فهناك برنامج وهناك خليفة، والبرنامج هذا تكويني، لذا كانت هناك خارطة قد رسمت تكويناً، والملائكة رأوا ما يجري في هذه الخارطة، كما قال إمامنا الصادق: (فإنهم رأوا أولئك الذين يفسدون وأولئك الذين سوف يسفكون الدماء) وكذلك رأوا الدماء المسفوحة والمسفوكة، ومن هنا ارتبكت الملائكة واعتضت، هناك تفاصيل موجودة في رواياتنا عن اعتراض الملائكة، أنا لا أستطيع أن أغطي كل الجزئيات.

ما ذكرته من أمثلة أردت فقط أن أقرب الفكرة التي قصدتها من أن قصة أبينا آدم لها وجهان: (وجه تكويني، ووجه رمزي فلسفي) وهذا المعنى يتجلى من خلال هذه الروايات، من خلال هذه الكلمات الشريفة: فَقَالَ آدَمُ - لا زلت أقرأ عليكم من الرواية المروية عن إمامنا الثامن الرضا صلوات الله عليه - فَقَالَ آدَمُ: يَا رَبِّي مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ هَؤُلَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ وَهُمْ خَيْرٌ مِنْكَ وَمِنْ جَمِيعِ خَلْقِي وَلَوْ لَاهُمْ مَا خَلَقْتُكَ وَلَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ - من هنا قيل للشجرة شجرة الحسد - فَإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ فَأَخْرَجَكَ عَنْ جَوَارِي، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَمَتْنِي مَنْزِلَتِهِمْ - هذه طبقة من طبقات تكوين النفس البشرية - فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَمَتْنِي مَنْزِلَتِهِمْ - هنا ماذا جرى؟ - فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ - حين نظر إليهم بعين الحسد هو فتح الأبواب للشيطان - فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَمَتْنِي مَنْزِلَتِهِمْ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا، قد يقول قائل: هناك شجرة أكل منها؟ نعم، هناك شجرة أكل منها، ولذلك أحد معاني الوضوء: (أنا نوضي هذه الأعضاء لأنها استعملت في هذا الأمر، استعملت في عملية الأكل والسعي إلى الشجرة) هناك شجرة أكل منها، ولكنه ما اشتهاها ورغب فيها إلا بعد أن تسلط عليه إبليس، وما تسلط عليه إبليس إلا بعد أن عاش حالة الحسد في مواجهة محمد وآل محمد، وحالة الحسد من أين جاءت؟ جاءت أن الإنسان تصور أو يتصور الآن، نحن كيف نعيش حالة الحسد؟ يتصور الإنسان أنه يستحق ما يملكه ذاك الذي هو يحسده، حين يتصور الإنسان أنه يستحق ذلك، من هنا يبدأ الحسد، وحين يتصور الإنسان ذلك، فإنه قد وضع نفسه في غير محلها، (ورحم الله امرئاً عرف قدر نفسه) رحم الله امرئاً عرف قدر نفسه؛ إذا عرف المرء قدر نفسه فإنه لن يضعها في غير موضعها، وحينئذ سيتخلص من الحسد، سيكون الحسد بعيداً عنه.

هذه قصة الإنسان، هذه حكايتي وحكايتكم، قصة أبينا آدم ما قبل الأرض ليست قصة شخصية، هذا هو تكوين البرنامج في مختلف الأبعاد، هناك تكوين للنفس البشرية وطبقاتها، هناك تكوين للعقل البشري وطبقاته، هناك تكوين للعواطف والأمزجة، هناك تكوين يسبق ذلك للخارطة التي سيتحرك فيها الإنسان، إننا هديناه النجدين في الاتجاهين، في اتجاه الهدى وفي اتجاه الضلال.

فإِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ فَأَخْرَجَكَ عَنْ جَوَارِي، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَمَتْنِي مَنْزِلَتِهِمْ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنْهَا، الخمر، متى يشرب الإنسان الخمر؟ يشرب الإنسان الخمر حين يتسلط عليه الشيطان، ومتى يتسلط عليه الشيطان؟ حين يفتح الإنسان له نوافذه وشبابيكه وأبوابه، ومتى يفتح الإنسان نوافذه وشبابيكه وأبوابه؟ حينما يعرض بوجهه عن إمام زمانه، حين يعرض الإنسان بوجهه عن إمام زمانه سيتجه إلى خمر أو إلى فاحشة أو إلى جريمة أو إلى ظلم أو إلى، أو إلى، حين يعرض بوجهه عن إمام زمانه يفتح النوافذ لإبليس، وحينئذ يقوده إبليس للذي يريد، القصة هي القصة، الحكاية هي الحكاية، فحين أعرض أبونا آدم حينما حسدهم، حين حسدهم أعرض عنهم لأنه رأى نفسه أنه يستحق منزله كمنزلتهم ولذلك حسدهم، لو أن شخصاً لا يرى نفسه يستحق منزلة س أو ص من الناس، فإنه لن يحسده، متى يحسد هذا الشخص؟ متى نحسد الآخرين؟ حين نتصور أننا نستحق منزلتهم، فحينما عاش أبونا آدم هذه الحالة، فإنه قد أعرض عن أمته، حين أعرض عن أمته، فتح الأبواب والنوافذ لإبليس فتسلط

إبليس عليه فقاده فأكل من الشجرة، وهذه الحكاية حكايتنا كما ذكرت في مثال الخمر، أو في أي جريمة من الجرائم، إبليس يقود الإنسان إلى ذلك، ولكن كيف يقود إبليس الإنسان إلى ذلك؟ حين يفتح الإنسان النوافذ لإبليس، متى تفتح هذه النوافذ؟ حين يعرض الإنسان عن إمام زمانه، إذا أعرض بوجهه عن إمام زمانه فتح النوافذ، ولكن هذه النوافذ تتناسب ومزاج ذلك الإنسان، فمزاج المعصية عند هذا الإنسان في الجريمة والقتل كما في داعش، ومزاج المعصية عند هذا الإنسان قد يكون في الزنا واللواط والخمر، ومزاج المعصية عند ذاك الإنسان قد يكون في الظلم وإيذاء الآخرين، ومزاج المعصية عند ذاك الإنسان قد يكون في السرقة والغش وجمع الأموال من الباطل، وهكذا، أمزجة الناس في المعصية مختلفة، كما أن أمزجة الناس في الطاعة مختلفة، ما كل الناس أمزجة طاعتهم تقودهم إلى مساعدة الآخرين وإدخال الفرح والسرور عليهم، هناك من الناس من يجد أفضل الطاعة في هذا، وهناك من الناس من يجد أفضل الطاعة تنسجم مع مزاجه أن يعتزل في زاوية وأن يتفرغ للعبادة والركوع والسجود، وهكذا، وهناك، وهناك، فالأمزجة مختلفة في الطاعات، والأمزجة مختلفة في المعاصي، وما نقرأه من تفاصيل قصة أبينا آدم، هي رموز لهذا الذي جرى علينا ويجري علينا وسيجري في قادم الأيام.

فَنَظَرَ إِلَيْهِم بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَتَمَنَّى مَنَزَلَتَهُمْ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى أَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا وَتَسَلَّطَ عَلَى حَوَاءَ لِنَظَرِهَا إِلَى قَاطِمَةِ بِعَيْنِ الْحَسَدِ حَتَّى أَكَلَتْ مِنَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَكَلَ آدَمُ فَأَخْرَجَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَنَّتِهِ وَأَهْبَطَهُمَا مِنْ جَوَارِهِ إِلَى الْأَرْضِ، قطعاً المراد من "جواره" هذه مرتبة معنوية، الله سبحانه وتعالى ليس له من جوارٍ حسي.

ولكن في طبقات التكوين هناك طبقة يكون فيض القرب نازلاً عليها محيطاً بها فتكون أقرب من غيرها، كما هو الحال في بقاع الأرض، هناك أرض هي أقرب إلى الله من أرض أخرى والأرض هي التراب والتراب هو التراب، (تراب كربلاء السجود عليه يخرق الحجب السبع) هكذا في الروايات، ما هي خصوصية هذا التراب؟ هذا التراب ليست فيه خصوصية، خصوصيته في الذي نسبت إليه، هذا تراب ينسب إلى حسين، وكل الحديث هنا حول حسين وآل حسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كما قلت في بداية الحلقة: إنني ألتقط لكم صوراً من هنا ومن هناك، إنني أصنع لكم سلة ورد أو سلة ثمار يانعة من كلماتهم الشريفة هذه.

الصفحة (196) من نفس الجزء الأول من تفسير البرهان، الرواية العاشرة، والرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن تفسير العياشي، عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ فِي الْمِيثَاقِ دُرِّيَّتَهُ -تلاحظون أن العملية عملية تشتمل على فصول، هذا فصل آخر من فصول برنامج التكوين- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ فِي الْمِيثَاقِ دُرِّيَّتَهُ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ -نبينا- وَهُوَ مُتَكَيٍّ عَلَى عَلِيٍّ، وَقَاطِمَةُ تَتْلُوهُمَا -تتلو محمداً وعلياً- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ فِي الْمِيثَاقِ دُرِّيَّتَهُ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ وَهُوَ مُتَكَيٍّ عَلَى عَلِيٍّ، وَقَاطِمَةُ تَتْلُوهُمَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَتْلَوَانِ قَاطِمَةَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ إِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ عَلَيْهِمْ بِحَسَدٍ،

أَهْبِطُكَ مِنْ جَوَارِي، فَلَمَّا أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَثَلُ لَهُ النَّبِيِّ وَعَلِيٍّ وَقَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِحَسَدٍ ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ فَأَنْكَرَهَا.

ماذا قال إمامنا الصادق؟ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ فِي الْمِيثَاقِ ذُرِّيَّتَهُ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ -مر به النبي- ليس كمرور شخص بشخص في الشارع أو الطريق، الحديث خارج الأرض، والحديث في عالم الميثاق، والحديث ضمن برنامج الخلافة وضمن خارطة التكوين- إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَرَضَ عَلَى آدَمَ فِي الْمِيثَاقِ ذُرِّيَّتَهُ فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ وَهُوَ مُتَكَيٌّ عَلَى عَلِيٍّ، وَقَاطِمَةُ تَتْلُوهُمَا، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَتْلُوَانِ قَاطِمَةَ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ إِيَّاكَ أَنْ تَنْظُرَ عَلَيْهِمْ بِحَسَدٍ، أَهْبِطُكَ مِنْ جَوَارِي، فَلَمَّا أَسْكَنَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ مَثَلُ لَهُ النَّبِيِّ وَعَلِيٍّ وَقَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِحَسَدٍ، ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ فَأَنْكَرَهَا -إنما أنكر الولاية بعد أن نظر إليهم بحسد، وما نظر إليهم بحسد إلا أن وجد لنفسه منزلة يستحق أن يوصف بأوصافهم- ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الْوَلَايَةُ فَأَنْكَرَهَا فَرَمَتْهُ الْجَنَّةُ بِأَوْرَاقِهَا -الجنة هنا نفرت منه- فَرَمَتْهُ الْجَنَّةُ بِأَوْرَاقِهَا، فَلَمَّا تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْ حَسَدِهِ وَأَقَرَّ بِالْوَلَايَةِ وَدَعَا بِحَقِّ الْخَمْسَةِ: مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَقَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾.

سأذهب بكم إلى كتاب آخر:

إلى تفسير شيخنا علي بن إبراهيم القمي، إنه تفسير القمي، والطبعة التي بين يدي مؤسسة الأعلمي/ الطبعة الأولى/ 2007 ميلادي/ بيروت/ لبنان/ يحدّثنا القمي في تفسيره عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه والحديث في أجواء قصة آدَمَ وَأَمَّا حَوَاءُ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: قَالَ الصَّادِقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: فَأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ وَاسْتَكْبَرَ -وكانَّ القياس والاستكبار يأتيان معاً، وهذا يمكن أن نتلمّسه في علماء الدين عبر التاريخ، القياس والاستكبار- (إِنَّ لِلْعِلْمِ) -كما يقول صلى الله عليه وآله- إِنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ -يعني هناك علماء طواغيت- إِنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ -مثلاً المال يصنع الطواغيت، العلم ما يسميه الناس علماً، قياس إبليس ما هو بعلم، هو يعتقد أنه علم، على أي حال- إِنَّ لِلْعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ وَإِنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ جَبَابِرَةً) هناك جبابرة العلم، جبابرة العلماء، البداية من هنا نشأت، من إبليس- فَأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ وَاسْتَكْبَرَ، وَالْاِسْتِكْبَارُ هُوَ أَوَّلُ مَعْصِيَةِ عَصِي اللَّهِ بِهَا، قَالَ: فَقَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّي اعْفِنِي مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ وَأَنَا أَعْبُدُكَ عِبَادَةً لَمْ يَعْبُدْكَهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا حَاجَةَ لِي إِلَى عِبَادَتِكَ، إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْبُدَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ لَا مِنْ حَيْثُ تُرِيدُ، فَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ، هَذِهِ مُشْكَلَةُ الْمَخَالِفِينَ مَعَ آلِ مُحَمَّدٍ، يَرِيدُونَ أَنْ يَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ حَيْثُ هُمْ يَرِيدُونَ، النَّبِيُّ جَعَلَ لَهُمْ عَلِيًّا الْبَابَ الَّذِي مِنْهُ يَدْخُلُونَ إِلَى اللَّهِ، هُمْ ذَهَبُوا فَصَنَعُوا لَهُمْ أَبْوَابًا، الْمَشْكَلَةُ هِيَ هِيَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ، النَّبِيُّ اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ فِي بَيْعَةِ الْغَدِيرِ أَنْ يَأْخُذُوا تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مِنْ عَلِيٍّ، ذَهَبُوا إِلَى غَيْرِهِ، وَهَذِهِ تَفَاسِيرُهُمْ مَوْجُودَةٌ فِي الْمَكْتَبَاتِ قَلْبُوهَا وَاقْرَؤُوهَا، لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِعَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ.

فَأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ -كما يقول إمامنا الصادق- فَأَوَّلُ مَنْ قَاسَ إِبْلِيسَ وَاسْتَكْبَرَ، وَالْاِسْتِكْبَارُ هُوَ أَوَّلُ مَعْصِيَةِ عَصِي اللَّهِ بِهَا، قَالَ: فَقَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّي اعْفِنِي مِنَ السُّجُودِ لِآدَمَ وَأَنَا أَعْبُدُكَ عِبَادَةً لَمْ يَعْبُدْكَهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ

وَلَا نَبِيَّ مُرْسَلٍ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا حَاجَةَ لِي إِلَى عِبَادَتِكَ، إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُعْبَدَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ لَا مِنْ حَيْثُ تُرِيدُ، فَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَقَالَ إِبْلِيسُ: يَا رَبِّي كَيْفَ وَأَنْتَ الْعَدْلُ الَّذِي لَا تَجُورُ، فَتَوَابَّ عَمَلِي بَاطِلٌ؟

قَالَ: لَا، وَلَكِنْ اسْأَلْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مَا شِئْتَ تَوَابًا لِعَمَلِكَ فَأَعْطَيْكَ.

فَأَوَّلَ مَا سَأَلَ سَأَلَ الْبَقَاءَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أُعْطَيْتُكَ.

قَالَ: سَلْطَنِي عَلَى وَلَدِ آدَمَ.

قَالَ: قَدْ سَلَّطْتُكَ.

قَالَ: أَجْرِي مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ.

قَالَ: قَدْ أَجْرَيْتُكَ.

قَالَ: لَا يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ إِلَّا وَلَدٌ لِي اثْنَانِ، وَأَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنِي، وَأَتَصَوَّرُ لَهُمْ فِي كُلِّ صُورَةٍ شِئْتَ.

فَقَالَ: قَدْ أُعْطَيْتُكَ.

قَالَ: يَا رَبِّي زِدْنِي.

قَالَ: قَدْ جَعَلْتُ لَكَ وَلَدْرِيَّتَكَ فِي صُدُورِهِمْ أَوْطَانًا.

قَالَ: رَبِّي حَسْبِي، قَالَ إِبْلِيسُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَبِعِزَّتِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ.

ورواية عن زُرَّارة عن إمامنا الصادق: لَمَّا أُعْطِيَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِبْلِيسَ مَا أُعْطَاهُ مِنَ الْقُوَّةِ، قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّي سَلَّطْتَهُ عَلَى وَلَدِي وَأَجْرِيَتُهُ فِيهِمْ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَا أُعْطَيْتَهُ، فَمَا لِي وَلَوْلَدِي؟

فَقَالَ: لَكَ وَلَوْلَدِكَ السَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

قَالَ: يَا رَبِّي زِدْنِي.

قَالَ: التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ إِلَى حِينٍ يَبْلُغُ النَّفْسُ الْحَلْقُومَ، النَّفْسُ أَوْ النَّفْسُ الْحَلْقُومَ، يُشِيرُ إِلَى الْمَوْتِ.

فَقَالَ: يَا رَبِّي زِدْنِي.

فَقَالَ: أُغْفَرْ وَلَا أَبَالِي.

قَالَ: حَسْبِي.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِذَا اسْتَوْجَبَ إِبْلِيسُ مِنَ اللَّهِ أَنْ أُعْطَاهُ مَا أُعْطَاهُ؟ فَقَالَ: بِشَيْءٍ كَانَ مِنْهُ شَكَرُهُ  
اللَّهُ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَمَا كَانَ مِنْهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: رُكْعَتَانِ رَكَعَهُمَا فِي السَّمَاءِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ سَنَةٍ.

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ      وَفِي أَيْمَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ  
فِي أَمَانِ اللَّهِ..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1438هـ

2017 م

---

برنامج قرآنهم... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

[www.alqamar.tv](http://www.alqamar.tv)